الدرس التاسـع/ رواية الجازية والدراويش: لعبد الحميد بـن هـدوقـــــة

* الـشهـداء يـعـودون هـذا الأسبوع: لـلـطـاهـر وطـار

أولا/ الـجـــازيـة والـدراويـش: لعبد الحميـد بن هدوقـــة:

1- التعـريـف بالكـاتـب: ولد(عبد الحميد بن هدوقة) في(09 جانفي 1925) ببلدة(**المنصورة**) التابعة لبرج بوعريريج حاليًا، وفيها قضى طفولته ودراسته الابتدائية باللغة العربية، ثم التحق بمعهد(**الكتانية**) بمدينة قسنطينة، حتى(عام 1946) حيث اضطره الواقع للسفر. فشدّ الرحال إلى(**مرسيليا**) بفرنسا، كان له فيها احتكاك بالواقع المرير للمهاجرين، ذلك الواقع الذي ينقله من بعد في قصصه، ليعود إلى أرض الوطن متابعًا دراسته بمعهد(الكتانية)عام(1950) بقسنطينة، ليلتحق بعدها بجامع(**الزيتونة**) بتونس طالبًا في فرع الآداب، وفي نفس الوقت كان يتابع دراسته بمعهد **الفنون الدرامية**، وفي عام (1954) عاد إلى أرض الوطن حيث عمل أستاذا للأدب العربي في معهد (الكتانية) كان مناضلا في المقاومة.. مما دفع الاستعمار الفرنسي إلى ملاحقته، فهرب إلى فرنسا سنة (1955) إلا أنّ الإقامة لم تطب له،فولى وجهته إلى تونس، وفيها تفرغ للنشاط الفكري من أدب وفن.. كما كان يشارك في برنامج (صوت الجزائر الجديدة) إلى جانب كل من (لمين بشيشي) و(مصطفى كاتب).. وغيرهم.

وبعد نيل الجزائر استقلالها الوطني(سنة1962)عاد إلى أرض الوطن ليمارس نشاطه في الإذاعة والتلفزة الوطنية منتجًا ومشرفًا على البرامج وغيرها من النشاطات المختلفة. وفي(21اكتوبر1996) وبعد مقاومته لمرض عضال ألزمه الفراش تنطفئ شمعته ويرحل عن عمر يناهز 71 سنة، تاركًا وراءه إرثًا ثقافيًا وفكريًا معتبرًا، وهو الذي عبّر عن حبه لوطنه وأرضه في إحدى قصصه قائلا **"**خطيبتي جميلة كالشمس لطيفة كالنور، عذبة كالخلود أو هي الخلود.. إنّني أحبها حبًّا مطلقًا قدسيًّا، حبًّا أبلغ من الألم وأقوى من الموت وألذُّ من الحياة .. لقد عرفت الحب مثلي، فكلانا يتألم وأخوة الألم فوق أخوة الدم**"**.

2- مؤلفـاتـــــــه:

أ/ في الروايـــــــة :

ـ ريح الجنوب سنة 1971، وتعتبر أول رواية فنية في الدب الجزائري الحديث.

ـ نهاية المس سنة 1975 ـ بان الصبح 1980.

ـ الجازية والدراويش سنة 1983 ـ غدا يوم جديد 1992.

ب/ في القصـــــة: ظلال جزائرية ـ الكاتب وقصص أخرى ـ الأشعة السبعة.

3/ ملخــص الروايـــــــــــــــة:

يدور محور الرواية حول شخصية(**الجازية**) هذا الاسم الرمز<< الحامل لشحنة من المعاني، مصدرها التراث الشعبي، لقد اندثرت السيرة الهلالية كشكل فني، إلا أنّ صورة (الجازية) ظلت قائمة في أذهان الناس والتي تحولت إلى ألغاز، وأمثال ومجموعة مواقف>>. وكثير من الدراسات نجدها قد اهتمت بهذه الشخصية التي حبكت حولها الكثير من الأساطير في المخيلة العربية.

تدور أحداث الرواية في قرية(**الصفصاف**) و(القرية تقع في قمة الجبل، الطريق إليها وعرة ويصعب الوصول إليها، إلا على الذين عاشوا فيها وألفوها، وهذا الموقع جعلها تعيش في شبه عزلة، وهي تتسم بشيوع عادات وتقاليد يسهر على المحافظة عليها مجموعة من الدراويش يظهر بين أيديهم الحل).

وكل أبطال الرواية يحلمون بالحصول على ودّ(**الجازية**)، ومن بينهم (الطيب) ابن الفلاح، والبطل المهاجر(عايد) الذي عاد إلى قريته، وتبرز أيضا شخصية (الشامبيط) الذي يرغب بتزويج ابنه الذي يدرس في أمريكا من(الجازية) وكذالك الطالب(الأحمر) الذي يسجن بفعل هذه التهمة الملفقة. وفي الرواية يربط الروائي صورة الجازية بالجزائر<< فالجازية في الرواية ترمز إلى الوطن إلى الجزائر.. كون الجزائريون يحبون بلدهم بطرق مختلفة بصرف النظر عن أهداف كل واحد منهم وهناك فكرة عامة في الرواية وهي أنّه لا ينبغي استئصال الشعب عن جذوره وعن قيمه المتوراثة عبر الأجيال>>.

ثانيـا/ الـشهـداء يعـودون هـذا الأسـبـوع : للطـاهـر وطــار

1- التعريف بالكـاتب: ولـد"الطاهر وطار"(يوم 15 أوت 1936م) ببلدية(**سافل الويدان**) بولاية (سوق أهراس) في أسرة كان لها الحضور الاجتماعي القوي، حيث يقصدها كل عابر سبيل، حيث يجد المأوى والمأكل، وكان جده المعارض الدائم لممثلي السلطة الفرنسية، وهو الذي فتح كتابًا لتعليم القرآن بالمجان فيقول:(الطاهر وطار):(إنّه ورث عن جدّه الكرم والأنفة، وورث عن أبيه الزهد والقناعة والتواضع، وورث عن أمه الطموح والحساسية المرهفة..)، تلقى نصيبًا من التعليم بمدرسة(**مداوروش**) التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم التحق بمعهد(**ابن باديس**) بقسنطينة(1952).

ومع اندلاع الثورة التحريرية (أول نوفمبر 1954) التحق(**بتونس**) حيث درس قليلا في جامع (**الزيتونة**) وفي(سنة 1956) التحق بالثورة التحريرية، وانضم إلى صفوف جبهة التحرير الوطني، ثم غادر إلى تونس، فتعرف على أدب جديد، هو أدب السرد، فالتهم الروايات والمسرحيات العربية والمترجمة والقصص، كما شارك في تأسيس العديد من الصحف التونسية. وفي(سنة 1962) أسس أول أسبوعية في تاريخ **الجزائر المستقلة** تسمّى(**الأحرار**) بمدينة قسنطينة، أوقفت بقرار جزائري رسمي، بعدها أسس أسبوعية(**الجماهير**)(سنة 1963) بالجزائر العاصمة، صودرت هي الأخرى من طرف السلطة ليعود في(سنة 1973) يؤسس (**الشعب الثقافي**) التابعة لجريدة الشعب، أوقفتها هي الأخرى السلطات (سنة 1974) كما ظل يناضل في صفوف حزب جبهة التحرير إلى أن أحيل على التقاعد. وما يميز نضال (الطاهر وطار) المعارضة القوية السياسية للنظام الجزائري الذي انحرف عن أهداف الثورة ومخططاتها.

فقد أسس وتفرغ لتسيير جمعية (**الجاحظية**) منذ(سنة 1989) التي تحولت إلى منبر للكُتَّاب والمثقفين لإبداء آرائهم بمختلف مشاربهم الثقافية دون إقصاء، كما جعل(**بيته**) منتدى يلتقي فيه المثقفون كل شهر ويعتبر (الطاهر وطار) من أنشط الروائيين الجزائريين سياسيًا إن لم يكن أنشطهم منذ بداية الاستقلال مرورًا بأزمة التسعينيات حتى وفاته يوم (**الخميس 12 أوت 2010**)، وهكذا فقدت الجزائر قامة من قامات الأدب الجزائري عامة والرواية الحديثة خاصة (الطاهر وطار) عن عمر يناهز(74 سنة)، بعد معاناة من مرض عضال بإحدى عيادات الجزائر.

2- مؤلفـــاتـــــــــــــــه:

أ ـ الروايـــــات:

رمانة: 1971 ـ اللاز: 1974 ـ الزلزال 1974 ـ الحوات والقصر:1974 ـ العشق والموت في زمن الحراشي: 1982 ـ عرس بغل: 1982 ـ تجربة فيي العشق: 1989ـ الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي: 1999ـ الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء: 2005.

*قصيدة في التذلل(2010)، كتبها وهو طريح الفراش وتطرق فيها إلى علاقة المثقف بالسلطة.

ب ـ المجموعـات القصصيـــة:

ـ دخان من قلبي: تونس1971 ـ الطعنات: الجزائر 1971 ـ الشهداء يعودون هذا الأسبوع: 1984.

ج ـ المسرحيـــــات:

- ✓ ـ على الضفة الأخرى: نشرت في مجلة الفكر التونسي أواخر الخمسينيات من القرن العشرين.
- ✓ ـ الهارب: الجزائر 1971.

3- ملخـص القصـــــــــــة:

تدور أحداث القصة في قرية صغيرة، يتم طرح قضية(**عودة الشهداء**)، عن رسالة يتسلمها(**والـد**) (الشهيد مصطفى)، وتبدأ بخروج الشيخ (العابد بن مسعود الشاوي) من مركز البريد متسلمًا رسالة من الخارج يقول عنها:**"**رسالة من الخارج من بلد بعيد جدّا، ومن أعطى عنوان العابد بن مسعود الشاوي إلى الخارج حتى يكتب له؟ ترى من يفكر الكتابة لي من الخارج ؟**"**. ثمّ يبدأ سرد هذه القصة عن طريق حوار يتم بين الشيخ (**العابد**) وشخصيات الرواية، وهذه الشخصيات تتنوع اجتماعيًا، وهي مختارة من الواقع، كما يقول الطاهر وطار:**<<** أبطالي الرئيسيون أختارهم من الحياة، من معارفي أو من أصدقائي أو من حققت معهم في إطار عملي ـ كمراقب وطني في الحزب ـ ولكن مهما كانت قيمة البطل الدرامية، فإنّني مضطر لأن أضفي على 70 أو80 بالمئة من أبعاد ومعطيات من عندي وأحيانا أقوم بتركيب عدة شخوص في شخص واحد**>>**.

يتراءى للشيخ" **العابد**" في منامه أنّ ابنه الشهيد"**مصطفى**" والشهداء الذين معه سيعودون.. الفكرة تهيمن عليه، وتتحول إلى هاجس مرعب مثلما هو مفرح.. يبدأ الشيخ "العابد" في كشف رؤيته لمن حوله.. الجميع يسمع منه أنّ الشهداء سيعودون هذا الأسبوع.. إلا أنّ الشيخ "العابد" لا يجد من يتحمس للرؤية .. بل يستشعر ذعرًا في عيونهم من هذه العودة المباغتة.

يستوقف الشيخ " **العابد**" كل من يصادفه في بلدته.. يقول له فيما يشبه الامتحان:**"** ماذا أنت فاعل لو عاد ابنك الشهيد.. أبوك الشهيد.. أخوك الشهيد.. زوجك الشهيد.. صديقك الشهيد..؟**!** وفي كل مرة يجد الشيخ" العابد" عدم التصديق مشفوعًا بالرثاء لحاله الذي وصل إليه، بعد أن استشهد ابنه "**مصطفى**" الذي كان زينة شباب بلدته وظَهْر الشيخ "العابد" الذي يتكئ عليه **!**. يصمت الشيخ "العابد" مستعجبًا إزاء هذه العاصفة من الاستنكار والاحتجاج لـ(**عودة الشهداء**) لكن ثورة (**الخوف**) تتغلغل في نفوس من يهابون هذه العودة المفاجئة، وفي مقدمتهم الذين تسلقوا على ظهور الشهداء، وورثوا أمجادهم وبطولاتهم وحولوها إلى تركة مباحة لمن يجيد اصطياد الفرص، واللعب على الحقائق التي لا يعرف أسرارها إلا من استشهدوا. كثيرون هم الذين سيتضررون من عودة الشهداء.. منهم من ولّوا الأدبار في ساحة المعركة واختاروا(الخيانة)حفاظًا على أرواحهم.. لو عاد الشهداء سيشهدون على خيانتهم وينفضح

أمرهم .. ومنهم من نال أرفع الأوسمة وتولى أعلى المناصب، رغم أنّه لم يحمل البندقية في وجه العدو أو يخوض غمار الموت !! لو عاد الشهداء حتى الأرض ستخجل من ابتلاع أمثال أولئك الخونة !!

4 ــ مضمــون الروايـــــــــــــة:

أراد الكاتب من خلال فكرة عودة الشهداء، تشريح الواقع وفضح الانتهازيين والخونة وقد استطاع أن يقدم فكرة قدسية الشهيد وكيف تحول إلى كابوس الخوف فرجوعه اقترن بالخراب والدمار،لأنّ الكل خائف على نفسه من افتضاح خيانته وذهاب الامتيازات، والردّ على السماسرة والمتاجرين بدماء الشهداء.

إنّ الكاتب لا يريد لهذه الصفحة من تاريخ الجزائر أن تطوى بهذه السهولة، بل تظل عالقة في الذاكرة لتكون غصة للخونة والانتهازيين والفاسدين..، ويحاول من خلال**(الشهداء يعودون هذا الأسبوع)** الرد على**"**المخربين**"** و**"**العابثين**"** بطريقته الخاصة، فيزف بينهم بشرى عودة الشهداء كي يفيقوا من إدمان إراقة الدماء ونشر الذعر بين الأحياء.. فالمواجهة بينهم وبين الشهداء قد تشعرهم بشيء من الخجل وتجعلهم أكثر إحساسًا بقيمة ذلك الاستشهاد الذي تَحوَّل إلى مكاسب رخيصة وأطماع دنيوية لا تنتهي. والكاتب**(الطاهر وطار)** عَبْر نصه هذا ساخط، ثائر على هذه الفئة من الشعب والسلطة فئة الخونة والسماسرة، والتجار والانتهازيين والاستغلاليين، الذين فقدوا كل الفقدان، الإحساس بتضحيات الشهداء العظام الذين هم غصة لهؤلاء عبر التاريخ.